مختارات من الشواهد النحوية الشعرية عند ابن خالويه "إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم" انموذجًا

Selections from Ibn Khalawayh's poetic grammatical evidence, "Parsing Thirty Surah from the Holy Quran," as an example

م. م. مُحَمَّد مُحْسِن خَلَف

الجامعة المستنصريّة/كلية الآداب/قسم اللغة العربيّة

asst. Inst. Mohammed Mohsin Khalaf

Al-Mustansiriya University\College of Arts\Department of Arabic Language

mohammed.mohsin@uomustansiriyah.edu.iq

المستخلص:

الشاهد الشعريّ كان ولا يزال الظهير للنحويّ، يأتي به يستدل به ويردّ به، وابن خالويه(ت٣٧٠هـ) أحد هؤلاء النحاة المفسّرين الذي قرب من أنْ يذكرَ لكلِّ تفسير آية شاهدًا، أو أكثر من الشعر، جاء البحث بمقدمة، ثم شرعت بدراسة الشاهد النحويّ الشعريّ في الكتاب موضع البحث، مقسمًا تلك الشواهد على ثلاثة أنواع، وختمت البحث بنتائجه، ثم ثبت المظان.

الكلمات المفتاحية: شاهد، شعر، ابن خالويه، شاعر، نحوي.

Abstract:

The poetic witness was and still is the assistant to the grammarian, who brings it as evidence and responds with it, and Ibn Khalawayh (d. 370 AH) is one of those grammarians and interpreters who came close to mentioning for each interpretation a witness verse, or more from poetry. The research came with an introduction, and then I began to study the poetic grammatical witness in the book in question, dividing that evidence into three types, the research reached several results and then confirmed the implications.

key words: Witness, poetry, Ibn Khalawayh, A poet, Grammarly.

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على محمّد الكريم سيّد الأوّلين والآخِرين وآلـه الطيّبين الطاهرين خير آلٍ لخير نبيّ، وبعد:

الشعر ديوان العرب، والاحتجاج به لرأي نحويّ، أو لغويّ، أو صرفيّ، أمرٌ شائع بين علماء العربية، وابن خالويه(ت٣٧٠هـ) ليس خِلوًا منهم، بل أكثر من الاستشهاد بالشعر في كتابه "إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم" والاستشهاد بالشعر هو جزء من السماع، الذي هو أصل من أصول النحو الثلاثة: (السماع، والقياس، والاجماع)، وفي هذا البحث تناولت من الشواهد الشعرية الكثيرة التي استشهد بها ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) لمختلف المواضيع اللغويّة ما كان نحويًّا منها.

في هذا البحث قمت بجمع الشواهد الشعرية اللغوية كلها، ثم انتقيت منها ما كان نحويا، ثم انتقيت ممّا كان نحويّاً ما يفيد في عرض وبسط موضوع الاستشهاد الشعري بوصفه جزء من السماع، وقد اخترت ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) لدراسته؛ لكونه أحد أبرز علماء القرن الرابع الهجري الذي لم يمل ميلًا كاملًا إلى أحد المدرستين، الميل الذي يجعل العالم أحيانًا متعصبًا لمدرسة معيّنة؛ فيغيب الإنصاف حين ذاك، وجعلت كتابه التفسيري موضوعًا للبحث لأنّه حوى كثيرا من المسائل النحويّة، التي يمكن من خلالها الكشف عن مذهبه النحويّ.

جاء بحثي هذا على مقدمة وطّأت فيها لموضوع الاستشهاد النحويّ بالشعر وبينت فيها سبب اختيار ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) واختيار كتابه هذا ومنهجي في انتقاء وعرض هذه الشواهد، ثمّ الشروع ببحث الشواهد الشعريّة التي وظّفها ابن خالويه وقسمتها وفقًا للعيّنة المُختارة إلى: المنصوبات، والحذف والتقدير، والأساليب النحويّة، ثم خاتمة بالنتائج، تليها قائمة بمظان البحث.

الشاهد النحويّ الشعريّ عند ابن خالويه:

كان الشعر من أهم الشواهد عند النحويين، يأتي به النحويّ ليستدلّ على وجهٍ ما، أو رأي، وقد وضع العلماء قواعدَ لما يُستشهد به من الشعر، ومنها: الزمان، والمكان، فحدّوا المدّة الزمنيّة لما يُحتج به بقرون ثلاثة، نصفها قبل الإسلام والنصف الثاني بعده، وخُتمت بالشاعر إبراهيم بن هرمة(ت١٧٦هـ) (خان، ٢٠١٢، صفحة ١٧)، وحدّوا المكان بسكان البوادي ولم يأخذوا من سُكّان الحواضر، ولا من سُكّان أطراف الجزيرة العربيّة خوفًا من اختلاط ألسنتهم بغير العرب، وسمّوا قبائل بعينها شهدوا لها بالفصاحة والأخذ عنها (خان، ٢٠١٢، الصفحات ٢١-٢٢)، والاستشهاد بالشعر هو جزء من السماع، الذي هو أصل من أصول النحو الثلاثة، التي هي: السماع، والقياس، والاجماع التي نقلها السيوطيّ(ت٩١١هـ) عن ابن جنيّ(ت٣٩٢هـ) (السيوطيّ، ٢٠٠٦م، صفحة ١٤).

أما عن المدرستين البصرة والكوفة فهو كان وسطًا بينهما، ولم يلتزم بمدرسة واحدة في كل المسائل، بل نره يرجح رأيًا بصريًا مرة، وأخرى رأيًا كوفيًا، إلا أنّ أبرز من أخذ عنهم كان الفراء(ت٢٠٧هـ) وهو إمام من أئمة مدرسة الكوفة، ولكنّه في أحيان كان ينقل رأيه من دون أن يأخذ به، بل يأخذ برأي غيره في المسألة نفسها.

استعمل ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) الشعرَ شاهدًا في كتابه "إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم" بكثرة، فيكاد لا يفسر أيّ آية من دون أنْ يستشهد لها شعرًا، سواءً أكان هذا الاستشهاد لجنبة، نحويّة، أم صرفيّة، أم معجميّة، أم صوتيّة، وكان الاستشهاد بالشعر لبيان معاني المفردات هو الأكثر انتشارا بين دفتيّ الكتاب وبلغ الثمانية والتسعين بيتًا، وبعدها تأتي الاستشهادات الصرفيّة التي بلغت الستين بيتًا، والنحوية التي بلغت السبعة والثلاثين بيتًا، والصوتيّة التي بلغت السبعة شواهد، وهناك الشعر الذي يكون شاهدًا في خبرٍ معيّن أو حادثة معيّنة، وقد اقتصرت البحث على ما كان نحويًا من الشواهد، ومنها:

المنصوبات:

استشهد ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) بالشعر لتبيين معاني المنصوبات، واحتمالات سبب النصب، وماهيّة المنصوب، والمنصوبات هي أكثر ما احتمل وجوهًا في إعرابها، أو تفسيرها في هذا الكتاب، ومن ذلك:

١-وقال ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) أيضًا في الآية نفسها: "﴿لو﴾ حرف تمنٍّ، ﴿تَعْلَمُوْن﴾ فعل مستقبل. ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ ﴿عِلْمَ﴾ نصب على المصدر، أيْ تعلمون ذلك علمًا يقينًا حقًا لا شكّ فيه. فهذا قول النحويّين إلّا الأخفش فإنّه قال ينتصب ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ على حذف الواو وهو قسم، والأصل وعلم اليقين. فلما نزعت الواو نصبت. كما تقول: والله لأذهبنَّ، فإذا حذفت قلت: الله لأذهبن، قال امرؤ القيس:

فَقَالَتْ يَمِيْنَ الله مَا لَكَ حِيْلَةً وَمَا إنْ أَرَى عَنْكَك الغَوَايَة تَنْجَلِي (الشافي، ٢٠٠٤، صفحة ١١٤)

أراد: فقالت ويمين الله، فلمّا حذف الواو نصب. ﴿اليَقِيْن﴾ جر بالإضافة، فأضفت العلم إلى اليقين" (ابن خالويه، ١٩٨٥، الصفحات ١٦٨-١٦٩).

وهو كما قال الله تعالى في سورة ق:﴿وَحَبَّ الحَصِيْد﴾[ق:٩]، وكما يقال: صلاة العصر. يقول الكوفيون: الشيء لا يضاف إلى نفسه. وإنما قدّروا في هذه ونظائرها الاسم الأوّل نوعًا والاسم والثاني جنسًا، فأضافوا النوع إلى الجنس، وقال المبرد(ت٢٨٥هـ): ها هنا مُضمر محذوف، والتقدير صلاة وقت الظهر، وصلاة وقت العصر (ابن خالويه، ١٩٨٥، الصفحات ١٦٨-١٦٩).

يستشهد ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) هنا في بيت امرئ القيس(ت١٣ق.هـ) الشاعر الأشهر قبل الإسلام، والموضوع هنا أن أغلب المفسرين يجعلون ﴿عِلْمَ﴾ منصوبًا على المصدرية و﴿الْيَقِينِ﴾ مُضافًا إليه، إلّا أنّ الأخفش(ت٢١٥هـ) خالفهم وجعل:﴿عِلْمَ﴾ مُنتصبًا بنزع الخافض الذي هو واو القسم، وعند نزع الخافض ينتصب ما كان حقًا له الخفض قبل نزعه، فيكون الأصل: وعلمَ اليقين، وبيت امرئ القيس شاهد ابن خالويه على قول الأخفش، فقد انتصب فيه: يمينّ، بنزع الخافض الذي هو واو القسم، ابن خالويه هنا لم يؤيد أو يرد ما ذهب إليه الأخفش إنّما نقله واستشهد له، ونقل قول الجمهور أيضًا، ويبدو لي أنّه مع الجمهور لأنّه افتتح تفسيره للنصّ به.

قال الزمخشريّ(٥٣٨هـ):"﴿لَو تَعْلَمُوْن﴾ محذوف الجواب، يعني: لو تعلمون ما بين أيديكم علّة الأمر اليقين، أيْ: كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور التي وكِّلتم بعلمها هِممكم: لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة" (الزمخشريّ، ١٩٩٨م، صفحة ٦/٤٢٥).

٢-قال ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ [المسد:٤]: "﴿حَمَّالَةَ﴾ رفع خبر الابتداء. ومن قرأ (حمّالة) بالنصب وهي قراءة عاصم (الفارسي، صفحة ٤٥١/٦)، نصب على الحال والقطع، وإن شئت على الشتم والذم، أشتم حمّالة الحطب وأذم حمّالة الحطب. والعرب تنصب على الذم كما تنصب على

المدح. فالمدح قولهم اللهم صلّ على محمّد أبا القاسم، تعني أمدح أبا القاسم، وإن شئت رفعت على تقدير هو أبو القاسم، وإن شئت جررت على اللفظ. قال الشاعر:

إلى المَلِك القَرْم وابْنِ الهُمَام ... وَلَيْثَ الكَتِيْبَة فِي المُزْدَحِم

فنصب ليثًا على المدح. وكذلك بالذم تقول: مررت بزيد الفاسق، تعني أذم وأعني. قال الشاعر:

سَقَوْنِي الخَمْر ثُم تَكَنَفُوْنِي ... عدَاة الله مِن كَذِب وَزُوْر" (ضناويّ، ١٩٩٦م، صفحة ١٣٢) (ابن خالويه، ١٩٨٥، صفحة ٢٢٥).

لم أعثر للبيت الأوّل على قائل لكن الزمخشريّ(ت٥٣٨هـ) والحلبيّ(ت٧٥٦هـ) نقلاه (الكشّاف، الصفحات ١٥٥-١/١٥٦)، وفيه استشهد ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) بقول الشاعر: الليثّ، بالنصب فقد قطع الشاعر ونصب على المدح، والتقدير: أمدح الليثَ، والبيت الثاني لعروة بن العبد العبسيّ(ت١٥ق.هـ) إذ استشهد به ابن خالويه بنصب الشاعر: عداةّ، على الذمّ وقطعه، والتقدير أذمُّ عداةَ الله.

٣-قال ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤]: "﴿أَحَدٌ﴾ اسم كان، أي ولم يكن أحد شبيهًا ولا كفوًا. وقال آخرون: كفوا ينتصب على الحال ومعناه التقديم والتأخير: ولم يكن له أحدٌ كُفُوٌ، بالرفع، فلما تقدم نعت النكرة على المنعوت نصب على الحال، كما تقول: عندي غلامٌ ظريفٌ، وعندي ظريفًا غلامٌ، وأُنْشِدَ:

لَمْيَةً مُوْحِشًا طَلَلٌ ... يَلُوْحُ كَأَنَّهُ خَلَلُ" (ابن خالويه، ١٩٨٥، صفحة ٢٣١).

هذا البيت لكُثَيِّر عزّة(ت١٠٥هـ) والشاهد فيه كلمة: موحشًا، إذ قدّم الحال: موحشًا، على صاحبه: طللُ، مع أنّه نكرة والأصحّ أنّ صاحب الحال يأتي معرفة.

إنّ الغالب -إذا كان صاحب الحال نكرة- أنْ تكون الحال عامّة أو خاصّة، أو مؤخرة عن الحال، والحال هنا يعد قياسيًا، كما أنّ الابتداء بالنكرة في نظائر هذا قياسيّ (ابن هشام، ٢٠٠١، الصفحات ١٣٤-١٣٥).

"قوله:﴿ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ في نصبِه وجهان، أحدُهما: أنه خبرُ ﴿ يَكُنْ﴾ و﴿أَحَدٌ﴾ اسمُها و﴿لَهُ﴾ متعلّقٌ بالخبر، اي: ولم يكُنْ أحدٌ كُفُواً له... والثاني: أَنْ يُنْصَبَ على الحال من﴿أَحَدٌ﴾ لأنَّه كان صفتَه فلمَّا تقدَّم عليه نُصِب حالًا، و﴿لَهُ﴾ هو الخبر" (الحلبي، الصفحات ١١/١٥٢-١٥٥). والقياس في الكَلام العربيّ الفصيح أَنْ يُؤَخَّرَ الظرف

الذي هو غير مستقرّ ولا يُقَدَّمَ، إلّا أنّه ورد مقَدَّمًا في هذه الآية، والمسوغ هو أنّ الكلام إنَّما سيق لنفي المكافَأة عن ذات اللَّه، واللفظ الدالّ على هذا المعنى هو هذا الظرف، وتقديم الأهمّ أولى، فلهذا السبب كان هذا الظرف مستحقًّا للتقديم.

٤-قال ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:٥]: "﴿ذَٰلِكَ﴾ رفع بالابتداء وهو إشارة إلى ما تقدم من إيتاء الزكاة وإقامة الصلاة. ﴿دِيْنُ﴾ رفع خبر الابتداء. و﴿القَيِّمَة﴾ جر بالإضافة. فإنْ قيل لك: الدين هو القيمة فلم لم يقل وذلك الدين القيّمة؟ فقل: العربُ تضيف الشيء إلى نعته، نحو قولِهم: صلاة الظهر، وحبّ الحصيد، قال الشاعر:

أَتَمْدَحُ فَقْعَسَا وَتَذُمُّ عَبْسًا أَلَا لله أُمّك مِن هَجِيْنِ

وَلَو أَقْوَت عَلَيكَ دِيَارُ عَبْسٍ عَرَفْتَ الذلَّ عِرْفَانَ اليَقِينِ

فأضاف العرفان إلى اليقين، وهو أراد عرفانًا يقينًا. وقال آخرون إنّما التقدير وذلك دين الملّة القيّمة، وذلك دين الحنفية القيّمة. فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه؛ كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَاسْأل القَرْيةَ التِيْ كُنَّا فِيْهَا﴾ أيْ اسأل أهلها" (ابن خالويه، ١٩٨٥، صفحة ١٤٧).

لم يذكر ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) قائل هذا الشعر، والراجح أنّه نقله عن الفرّاء(ت٢٠٧هـ) الذي ذكر هذا الشعر في كتابه معاني القرآن، إذ قال إنّه أُنْشِد هذا البيت ولم يذكر قائله (الفرّاء، ١٩٨٣م، صفحة ٥٦/٢). أضاف الشاعر هنا العرفان إلى اليقين والتقدير: عرفت الذلّ عرفانًا يقينًا، فيكون اليقين نعتًا للعرفان، ولا يكون من باب إضافة الشيء إلى نفسه الذي منعه البصريّون، وفي قراءة ابن مسعود(الدين القيّمة) (الفرّاء، ١٩٨٣م، صفحة ٥٥٤/٢٤) وزعم أنه إضافة الشيء إلى نفسه، وقد منعه البصريون لأنّك إنما تضيف الشيء إلى ما تبينه به فتضمه إليه فمحال أن تبينه بنفسه أو تضمّه إلى نفسه، فيكون تقدير الآية: وذلك دين الأمّة القيّمة بالحقّ، فيكون ذلك دين الملّة المستقيمة؛ ولهذا وقع التأنيث (الزجّاج، ١٩٨٨م، صفحة ٣٥٠/٥).

الحذف والتقدير:

وظف ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) الحذف في الجمل سواءً أكانت جملًا اسميه، أم فعلية، أم شبه جمل، وتأثير هذا الحذف في معنى النص، مستعينًا بشواهد شعريّة للاستشهاد على ذلك، وفي تقدير المحذوف، وتأثير المُقدّر على الظاهر، ومن ذلك:

١–قال ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) في تفسيره للباء في قوله تعالى:﴿بِسْمِ اللَّهِ الرحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:١] في وضع الباء، وفي ذلك ثلاثة أوجه نقلها ابن خالويه (ابن خالويه، ١٩٨٥، صفحة ٩):

الأوّل: للفرّاء(ت٢٠٧هـ)، قال: موضعها نصب على تقدير: أقول: باسم الله، أو: قل: باسم الله.

الثاني: للكسائيّ(ت١٨٩هـ)، الذي قال: لا موضع لها، لأنّها أداة.

الثالث: للبصريّين، ومنهم النحاس(ت٣٣٨هـ) (النحاس، ١٩٨٨، صفحة ٥٠/١) الذين قالوا: موضع الباء رفع بالابتداء، أو بخبر الابتداء، والتقدير: أوّل كلامي باسم الله، أو باسم الله أول كلامي. وهذا الرأي هو المختار عند ابن خالويه واستشهد له بقول الراجز:

تَسْأَلُنِيْ عَنْ بَعْلِهَا أيُّ فَتَى خَبّ جَبَانٌ فَإِذَا جَاعَ بَكَى

لم يذكر ابن خالويه قائله، وهو لجُلَيح بن شَمِيذ بحسب قول محقق الكتاب موضع البحث (ابن خالويه، ١٩٨٥، صفحة ٩)، علّق ابن خالويه على هذا الرجز بقوله: "أيْ هو خبّ جبانٌ، وأيّ فتى هو" (ابن خالويه، ١٩٨٥، صفحة ٩)، ففي هذا الرجز حُذف المبتدأ الذي قدره ابن خالويه بـ(هو) والذي رَفَعَ الخبر: خبٌ، كما ارتفع قوله تعالى:﴿ بِسْمِ اللَّهِ﴾ بتقدير: أول كلامي، وهو الذي ذهب إليه البصريون، فأوّل: مبتدأ وخبره: باسم الله.

والظاهر أن البسملة في السور جميعها متعلقة بكلمة: أَبْدَأُ، أو أوّل، أو ما يعادلهما تقدّر وتُسند إلى المتكلّم تنزيها لجلال اسمه الكريم وبركاته وتعظيمًا له لجلال المسمى وعظمته (النجفيّ، صفحة ٥٣).

٢–قال ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) في تفسير قوله تعالى:﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون:٢]: "﴿تَعْبُدُونَ﴾ صلة:﴿مَا﴾. والواو الذي فيه ضمير الفاعلين. والهاء المضمرة تعود على الذي، والتقدير: ما تعبدونه... قال الشاعر:

ذَرِيْنِي إنَّمَا خَطْئ وَصَوْبِي ... عَلَيَّ وإنَّ مَا أَهْلَكْتُ مَالِي

معناه وإن الذي أهلكته هو مالي" (ابن خالويه، ١٩٨٥، صفحة ٢١٣).

هذا البيت لأوس بن غلفاء الجهيميّ بحسب قول محقق الكتاب (ابن خالويه، ١٩٨٥، صفحة ٢١٣)، وهو شاعر جاهليّ، وقد حُذف المفعول به الضمير الهاء، وقد استشهد ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) لذلك ببت أوس الجهيمي الذي حذف المفعول به الهاء في قوله: أهلكت، وقدر المحذوف له ابن خالويه بقوله: "معناه وإن الذي أهلكته هو مالي" والمحذوف في هذه الآية بحسب ابن خالويه هو الضمير الهاء الذي هو مفعول به لـ﴿تَعْبُدُونَ﴾؛ ولمّا كان المفعول به فضلة فهو أولى بالحذف (ابن خالويه، ١٩٨٥، صفحة ٢١٣)، و﴿لَا﴾ لا تدخل إلّا على مضارع، بمعنى الاستقبال؛ كما أنّ :﴿مَا﴾ لا تدخل إلّا على مضارع بمعنى الحال (المشهديّ، ١٤٣٠هـ، صفحة ٢١٣).

٣-قال في تفسير: (لا) في قوله تعالى:﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة:٧]، قال: ((الواو حرف نسق و(لَا) قيل فيه صلة والتقدير والضالّين، وقيل﴿لَا﴾ تأكيد للجحد، وذلك أنّ﴿لَا﴾ لا تكون صلة إلّا إذا تقدمها جحد، كقول الشاعر:

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُوْلَ الله فِعْلَهُمُ والطيبَان أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَر (حبيب، ٢٠٠٩، صفحة ١٥٩)

ويروى "دينهم" (ابن خالويه، ١٩٨٥، صفحة ٣٣).

هذا الموضع من المواضع التي يستشهد فيها ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) من دون أن يذكر صاحب الشعر، وصاحبه هو جرير التميميّ(ت١١٠هـ)، والراجح عندي أنه لم يذكره لشهرته ولأنّ القصيدة معروفة، مطلعها:

قُل للدِيَار سَقَى أَطْلَالَكِ المَطَرُ قَدْ هِجْتِ شَوْقًا فمَاذا تَرجْعُ الذكرُ (حبيب، ٢٠٠٩، صفحة ١٥٠)

في البيت سُبق قول الشاعر: والطيّبان، بنفي تصدرته: ما، في قوله: ما كان يرضي... ولذلك جاز أن تكون صلة، والتقدير: ما كان يرضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فعلهم وما يرضى الطيّبان، أمّا في الآية لا مكان للجحد التام، وقد جاءت﴿غَيْر﴾ بمعنى﴿لَا﴾ فلذلك رُدَّت عليها﴿لَا﴾، أنْ تقول: فلان غير مُحسنٍ ولا مُجمل؛ فإذا كانت﴿غَيْر﴾ بمعنى: سوى، لم يجز أن تُكرر عليها﴿لَا﴾ (الفرّاء، ١٩٨٣م، صفحة ٨/١)، ولأنّ معنى﴿غَيْر﴾ متضمّن معنى النفي، يجيز النحويّون أنْ تقول: أنت زيدا غيرُ ضارب، لأنّه بمنزلة أنْ تقول: أنت زيدًا لا تضرب، ولا يجيزون أنْ تقول: أنت زيدًا مثلُ ضارب، لأنّ زيدًا من صلة ضارب فلا تتقدّم عليه (الفرّاء، ١٩٨٣م، صفحة ٥٤/١).

الأساليب النحوية:

تناول ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) الأساليب النحوية موظفًا للشاهد الشعري في كشف معانيها، وتبيين تأثيرها في النص، ومن ثَمّ تفسير معنى الآية، ومن ذلك أسلوب التعجب وأسلوب الشرط، وأسلوب التوكيد:

١–قال ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) في تفسير قوله تعالى:﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة:٢]: "﴿مَا﴾ لفظها لفظ الاستفهام ومعناها التعجّب. وكل ما في كتاب الله من نحو﴿الحَاقَّة مَا الحَاقَّة﴾ فمعناه التعجّب: عَجَّبَ اللهُ نبيّه من هول يوم القيامة، أيْ ما أعظمه، وكذلك قوله تعالى:﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [الواقعة:٨]. قال جرير:

أُتِيْحَ لَكَ الظعَائِنَ مِن مُرادٍ وَمَا خَطْبٌ أَتَاحَ لَنَا مُرَادَا (حبيب، ٢٠٠٩، صفحة ١١٧)

أيْ ما أعظمه من خطب. وقال خِدّاش بن زهير:

وَهِلَالٌ مَا هِلَالٌ هَذهِ قَدْ هَمَمْنَا بِهِلَالٍ كُلَّ هَمْ

يَأْخُذُوْنَ الأَرْشَ مِن إِخْوَانِهم فَرق السَمْنِ وَشَاةَ فِي الغَنَمْ

ثُمَّ قَالُوا لِنُمَيْرٍ جَمْخرًا مَا بِكَعْبٍ وَكِلَابٍ مِنْ صَمَمْ

قوله جمخرًا كقولك بخ بخ" (ابن خالويه، ١٩٨٥، صفحة ١٥٩).

خِدّاش هذا من الشعراء المخضرمين توفي في السنة السادسة للهجرة، وهذا الموضع من المواضع التي يستشهد فيها ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) بأكثر من بيت لغير شاعر، وهذا الأمر متكرّر في هذا الكتاب، وبيت جرير(ت١١٠هـ) من قصيدته التي مطلعها:

أَبَتْ عَيْنَاكَ بِالحُسْنِ الرُقَادَا وَأَنْكَرَتْ الأَصَادِق وَالبِلَادَا (حبيب، ٢٠٠٩، صفحة ١١٧)

الشاهد في شعر جرير(ت١١٠هـ) هو قوله: وَمَا خَطْبٌ أَتَاحَ... فقد تعجب من الخطب بطريقة الاستفهام المجازي، وكذلك شعر خِدَّاش الذي تعجب من الهلال بقوله: وَهِلَالٌ مَا هِلَالٌ هَذهِ... تعجّب هنا بطريقة الاستفهام، وهذ هو معنى الآية المباركة فمعناها التعجّب: فقد عَجَّبَ اللهُ نبيه من هول يوم القيامة، أيْ ما أعظمه من يوم، واستشهد ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) بآية تقارب مع هذه الآية في قوله تعالى:﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾[الواقعة:٨]، ونجد هذا لأمر–أي الاستشهاد بآية أو آيات– متفاوتًا ومتفرقًا في تفسيره هذا، فأحيانًا يستشهد بها وأحيانًا أخرى لا، إلّا أنّها–هذه الطريقة– من ضمن ما يعتمد عليه في التفسير.

الافتتاح بلفظ القارعة افتتاح تهويل، وَفيه تشويق إِلى معرفَة ما سيخبر به، فَالمعنى: القارعة شيء عظِيم هي، وهذا يجري على أَنَّ الآيةَ الأولى تنتهي بقوله: ﴿مَا القارعة﴾ (ابن عاشور، ١٩٨٤، الصفحات ٥٠٩-٥١٠/٣٠)، وقد استشهد لهذا المعنى بشعر جرير وخِدَّاش؛ ليدلّ على معنى التعجّب في الآية الكريمة.

٢-قال ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) في تفسير قوله تعالى:﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [الفتح:١]: "«إذا» و«إذ» حرفا وقتٍ، فإذْ واجبة، وإذا غير واجبة. ومعناه أنّ إذْ ماضية، وإذا مستقبلة. تقول: أزورك إذا وافى الأمير، وزرتك إذ قدم الحاجّ. وهما لا يعملان شيئًا. وربما جازت العرب بإذا وإذما وإذاما، فجزموا الفعل بعده، وليس ذلك مختارا لأنه موقف. والصواب أن تقول إذا تزورني أزورك، ولا تقل إذا تزرني أزرك، قال زهير:

وإِذَا مَا تَشَاءُ تَبْعَثُ مِنْهَا ... مَغْرِبَ الشمْس نَاشِطًا مَذْعُوْرَا (الجوراني، ٢٠٢٢، صفحة ٢٩)

الناشط الثور الوحشيّ" (ابن خالويه، ١٩٨٥، صفحة ٢١٦).

البيت لكعب بن زهير(ت٢٦هـ) الشاعر المخضرم وصاحب البُردة المعروفة في مدح الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم) والاعتذار له التي مطلعها:

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُجزَ مَكبولُ (فاعور، ١٩٩٧، صفحة ٦٠)

يقول فيها:

أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللَهِ أَوعَدَني وَالعَفُوُ عِندَ رَسولِ اللَهِ مَأمولُ (فاعور، ١٩٩٧، صفحة ٦٥)

وقد نالت هذه البردة استحسان الرسول(صلّى الله عليه وآله وسلّم) (فاعور، ١٩٩٧، صفحة ٥٧)، والشاهد في بيت كعب هو إفادة إذا للاستقبال في البيت إذا وإذ ظرفا زمان، الأوّل لما يُستقبل والمُحتمل، والثاني للمضيّ والقطع، فكلّ ما مضى فقد قُطِعَ بصُدوره، وفي الآية الحال هو الاستقبال ومجيء الفعل:﴿جَاءَ﴾، بصيغة المضيّ هو لتأكيد وقوع النصر، فكأنه حاصل بالفعل، فكلّ ما هو أتٍ فهو قريب، وإذا وعد الصادق فالوعد واقع، وليس أصدق من الله أحدًا.

وشبه الجملة ﴿إِذَا جَاءَ﴾ منصوب بـ(سبّح) في:﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [الفتح:٣] وهو لما يُستقبل، والإخبار عن ذلك قبل كونه من علامات النبوّة (الكشّاف، صفحة ٤٥٠/٦).

٣-قال ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) في تفسير قوله تعالى:﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾[التكاثر:٥]: "﴿كلا﴾ بدل من الأول. وإنما كرّر توكيدا للتهدُّد والإيعاد؛ كما قال تعالى:﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ مكرّرًا في سورة المرسلات، وفي نظائر له في القرآن الكريم. ومثله قول الشاعر:

هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوْعَ كِنْـ ـدَةَ حِيْنَ وَلَوْا أَيْنَ أَيْنَا (عدرة، ١٩٩٤، صفحة ١١٨)

يستهزئ بهم، أي أين يفرّون، وقال:

..... وَبَعْضُ القَوْمِ يَسْقُطُ بَيْنَ بَيْنَا (عدرة، ١٩٩٤، صفحة ١١٨)

وأنشدنا ابن دريد:

بَيْنَ الأَشَجِّ وَبَيْنَ قَيْسٍ بَيْته بَخٍ بَخٍ لِوَالِدِهِ وَلِلْمَوْلُوْدِ (أبو ياسين، ١٩٨٣، صفحة ١١٣)

فأعاد «بين» مرتين. وكذلك «بخ بخ»" (ابن خالويه، ١٩٨٥، الصفحات ١٦٧-١٦٨).

التوكيد بالتكرار في النصوص الشعريّة قد يكون بتكرار الحرف، أو الاسم، أو الفعل، أو الجمل، ولهذا التكرار أسباب منها: إحداث إيقاع صوتي معيّن، وشد انتباه المتلقّي نحو كلمة معيّنة (مناحي، ٢٩-٣٠ آيار ٢٠٢٢، صفحة ٢٠٤)، وفي هذا الموضع يستشهد ابن خالويه(ت٣٧٠هـ) بأكثر من بيت لأكثر من شاعر، وقوله: بدل الأوّل، يقصد صدر الآية:﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر:٣-٤] وقد تكرّر لفظ:﴿كَلَّا﴾، الذي في الآية الثالثة من السورة المباركة؛ وهذا التكرار جاء لأجل التهديد والإيعاد كما فسّره ابن خالويه(ت٣٧٠هـ)، واستشهد لهذا المعنى ببيتي عبيد الأبرص(ت٢٥ق.هـ) وهو من شعراء الطبقة الأولى في الجاهليّة، وبيت أعشى همدان(ت٨٣هـ) وهو من متقدّمي الشعراء في زمن الأمويين، ففي بيت عبيد تكرّر لفظ: أين أين، فلا مفرّ لهم، وهذا التكرار جاء ليفزع عدوهم فلا يعرفون أين يفرّون، وتكرار لفظ: بَيْنَ بَيْنَ جاء لتكثير سقوطهم حتى صار يسقط ساقطهم بين الساقطين الآخرين فتراكموا سقوطًا؛ وهذا لكثرة القتل فيهم، وكذلك بيت الأعشى عندما كرّر لفظ: بخٍ بخٍ.

والغرض من التوكيد في العربيّة عمومًا هو إزالة الشكّ والتردد في ذهن المتلقيّ، وهذا التوكيد يختلف بحسب درجة انكار وقبول المتلقيّ؛ فكلّما زاد الإنكار زاد التوكيد (اعذار، ٢٠٢٢، صفحة ٢١٠)، وهم هنا-أي المعاندين المنكرين لحقيقة الجحيم- ذهبوا في غيّهم بعيدًا، فكان التوكيد لأجل تثبيت حقيقة الجحيم، وأنّ المعاد إليه سبحانه حق لا ريب فيه.

الخاتمة والنتائج:

-استشهد ابن خالويه بأشعار الجاهليين، والمخضرمين، وشعراء صدر الإسلام، والأمويّين.

-عند استشهاده ببيت أو أبيات، كان في أحيان يبيّن وجه الاستشهاد، وفي أيٍّ جزء من البيت، وفي أحيان أخرى يذكر البيت فقط ويترك للقارئ إيجاد وجه الاستشهاد.

-المنصوبات هي أكثر ما احتمل وجوهًا في إعرابها، أو تفسيرها في هذا الكتاب، وتبعًا لذلك كثرت الأبيات التي استشهد بها لهذه الاحتمالات والأوجه.

-كان يسمّي الشاعر صاحب الشاهد كثيرًا، وكان في أحيان لا يسمّ.

-يستشهد ببيت واحد مرة، وأخرى يستشهد بأكثر من بيت للشاعر نفسه أو لغيره.

-كان يستشهد لإثبات شيء، ويستشهد لنفي شيء آخر.

-كان يأتي بآيات يستشهد بها لتعضيد تفسير آيات أُخر.

ثبت المظان:

-الجوراني، محّمد محمود ياسر. *رمزية الذات والحيات في بردة كعب بن زهير، المجلد٤٤، العدد٨٩-٢*.بغداد، مجلّة آداب المستنصريّة. (٢٠٢٢)

-ابن خالويه، أبو عبد الله الحسن بن أحمد. *إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم*. بيروت: دار ومكتبة الهلال. (١٩٨٥).

-النحاس، أبو جعفر. *معاني القرآن الكريم*. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، (١٩٨٨).

-الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم السراي. *معاني القرآن وإعرابه*. بيروت، عالم الكتب. (١٩٨٨).

-الفراء، أبي زكريّا يحيى بن زياد. (١٩٨٣). *معاني القرآن*. بيروت: عالم الكتب.

-الفارسي، أبو علي. (بلا تاريخ). بيروت، *الحجّة للقرّاء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد، دار المأمون للتراث .*

-اعذار، فاطمة حسن, (٢٠٢٢). بغداد، أسلوب التوكيد في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة يس(بحث). المستنصرية.

-عدرة، أشرف أحمد، *ديوان عبيد الأبرص، ط١*، بيروت، دار الكتاب العربي، (١٩٩٤).

الحلبيّ، أحمد بن يوسف عبد الدائم، المعروف بالسمين ، الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون، دمشق، دار القلم.

- السيوطيّ، جمال الدين. *الاقتراح في علم أصول النحو.* مصر: دار المعرفة الجامعية. (٢٠٠٦).

-ابن هشام، جمال الدين أبي محمّد عبد الله بن يوسف ، *شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، اعتنى به: محمّد أبو فضل عاشور*، بيروت، دار إحياء التراث. (٢٠٠١)

- أبو ياسين، حسن علي، *ديوان أعشى همدان.* الرياض-المملكة العربية السعوديّة: دار العلوم للطباعة والنشر. (١٩٨٣م)

ع=-عبد الشافي، مصطفى. ديوان امرئ القيس. بيروت، دار الكتب العلمية، (٢٠٠٤).

-ضناويّ، سعدي. *ديوان عروة بن الورد.* بيروت، دار الجيل، (١٩٩٦).

-فاعور، علي. *ديوان كعب بن زهير.* بيروت، دار الكتب العلمية، (١٩٩٧).

- الزمخشريّ، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر. *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، الرياض، مكتبة العكبيان، (١٩٩٨).

-ابن عاشور، محمّد الطاهر. *تفسير التحرير و التنوير*، تونس، الدار التونسية للنشر، (١٩٨٤م).

- المشهديّ، محمّد بن محمّد رضا القميّ. *كنز الدقائق وبحر الغرائب*، منشورات مؤسسة شمس الضحى. (١٤٣٠هـ),

- حبيب، محمّد. *ديوان جرير. القاهرة*، دار المعارف. (بلا تاريخ)

- النجفيّ، محمّد جواد البلاغيّ. *آلاء الرحمـٰن في تفسير القرآن*. بيروت–لبنان، دار إحياء التراث العربي. (بلا تاريخ)

- خان، محمّد. *أصول النحو العربي*. بسكرة، مطبعة جامعة محمد خضير، (٢٠١٢).

- كاظم ومناحي، محمود علي ، وفيصل سلمان. *ظاهرة التكرار في شعر منذر بن الحرّ وتأثيرها على المستوى الصوتيّ، بغداد، المؤتمر العلميّ الخامس والعشرين للعلوم التربويّة والإنسانيّة*. كلّيّة التربية– الجامعة المستنصريّة (٢٠٢٢).